الجواد الذى كان يجلب الشمس

كانت هناك بلاد شديدة الكآبة حزينة حزن بالغ لأن الشمس لم تكن تسطع فيها مطلقا حتى أن الضوء الذى يميز الليل عن النهار كان كمن يمر من خلال نسيج كثيف .وكان كل الناس سيموتون من الآسى لولم يحصل ملك هذه المقاطعة الضرير على حيوان عجيب يدعى " الجواد – الشمس " وبالرغم من أن أحد لم يره ولم يعرف أحد كيف هو بالضبط الا أنه كان يشيع النور من حوله نور ليس كضوء المصباح ولكنه حى يؤدى للنفس مايؤديه للعين .

وعندما كان يمر كان كل الناس ينتعشون ويشعرون بالشجاعة تدفعهم وهم يترددون في الشفق على مواصلة حياتهم الفقيرة وكانوا ينزهون الجواد كل يوم في منطقة مختلفه من المملكة .

ولنا أن نتخيل الذعر الذى سيعيش فيه هذا الشعب عندما يعلم بأختفاء الجواد فقد أخفاه ساحر عظيم .

وكان هناك فتى مجذوب يدعى جن صبى جميل ذو شعر أبيض وعيون زرق وكان أسعد الناس جميعا بالرغم من أن الجواد لم يمر أبدا من أمام بيته لكن الفرن الذى يملكه كان يتمتع بجزء من الشمس .

وكان يقول " سأجد الجواد "

نزع الوبر الذى يعلو قبعته الجلد الصغيرة ليرى أتجاه الريح ثم أتجه دون تفكير في شىء وعصاه فوق كتفه الى مكان جنى القطن .

ومشى يوم ، يومين ، ثلاثة أيام وفي اليوم الثالث وعند مدخل غابة كبيرة وجد نفسه أمام بيت مهجور كان بداخله رجل عجوز يقرأ في كتاب ضخم أخبره جون من هو ومن أين جاء وسأله ما اذا كان قد رأى الجواد وأجابه الرجل العجوز دون أن يرفع بصره حن لكى تجد الجواد وعليك أن تخلق الماء من النار والنار من الماء .

ها هو جن يتقدم في المسير فبأمكان المرء أن يتخطى نفسه ذلك أن الأرض تضيق به دائما وتوغل في الغابة ومشى يومين ومشى ثلاثة أيام وفي اليوم الثالث رأى على البعد في وسط الغابة الكبيرة بقعه بيضاء على هيئة قصر وعندئذ بدت عليه السعادة .

وفي اليوم التالى حاول بلوغ القصر لكن الحيلة كانت تنقصه كذلك كانت تنقصه في الايام التالية عندما أعتلى صخرة ليرى اين هو كان القصر لايزال يبدو بعيدا يالله من قصر عجيب لم ير مثله أبدا فهو على شكل نجمه ذات خمسة فروع وكانت تصل الى مسامعه من حين الى آخر موسيقى غريبة .

وظل جن يبحث عن الطريق دون ملل وفي أحدى الامسيات أعتقد أنه أهتدى أخيرا الى طريق فاندفع فيه يتقدمه السرور غير أن الممر سد أمامه بواسطة لهب أزرق كبير القى عليه وهو يبصق ويصفر ولم يكن جن قد رأى لهبا في مثل هذه الحرارة وهذه الفظاعة وأخذ جلد وجهه يطقطق فثرب في فزع .

هاهو الان تحت ظل شجرة يقوم بأعداد وجبته الزهيدة اخيرا ليت نار الفروع الذابلة واكواز الصنوبر هى التى قفزت الى وجهه ويتحدث جن الى النار صديقته ورفيقته في العمل كما كان يتحدث اليها في الماضى عندما كانا يقومان معا بصنع الزجاجات ويلومها على عدم مساعدتها له فيسمع النار التى تجيبه قائلة : أنا النار الحمراء خذنى ياجن وسوف أعاونك ضد النار الزرقاء " يضع جن النار الحمراء في قصعته وينطلقا معا في مواجهه النار الزرقاء .

وها هى النار الزرقاء تلقى بنفسها على جن لتفترسه وهاهى النار الحمراء تخرج من القصعه وترتمى على النار الزرقاء وهاهى معركة لم نر مثلها أبدا تدور يالها من عاصفة يالها من زورعه لقد رأينا الماء الذى يغلى أما هنا فهيى النار التى تشتعل فيحينا تتغلب النار الحمراء وحينا النار الزرقاء وحينا تمتزج الاثنان معا حتى لايرى غير شمس بنفسجيية واحدة تدور بحده حول نفسها وتلقى في كل أتجاه اسهما ناريه وطلقات ذهبيه وأخيرا تتغلب النار الجمراء لانها اكثر بروده تطوق النار الزرقاء وتخضعها وتعجنها ويسمعها صانع الزجاج تصيح فيه " الى عصاك ياجن الى عصاك " يدفع جن بعصاه في المستوقد وهاهى النار الزرقاء تتعلق بطرف العصا المعدنيه كمنطاد ضخم .

وعندما شعر صانع الزجاج ان الفقاعة في طرف أنبوبته متضخمة وخفيفة اخذ يصفر بلقائبا في داخلها أنتفخت الفقاعة وتمددت ودفعت برأس وذيل واربعة اقدام وازادتهم بطنا وعندما سطعت الشمس أبان اول شعاع لها فوق اوراق الغابة عن جواد جميل من زجاج رقيق محلى بألوان قوس قزح وقد بدى كفقاعة من الصابون لم يكن من الزجاج العادى ولكنه حيوان حى وعجيب من مادة شفافة وعروق من الكريستال وماء أصيلة وكان ينير بين

حين وآخر لهيب لازوردى يشبه لهيب ماء الحياة التى تشتعل وفرح جن لعثوره على الجواد فى الوقت الذى كان قد تمكن منه التعب قفز فوق على الجواد وأخذ يعدو مسرعا فى الطريق المتسع المفتوح نحو القصر

وكلما كان يقترب كلما كانت الموسيقى العجيبة التى لا تزال مبهمة تسمع بوضوح أكثر كانت الضوضاء عالية كثرثرة جدول أو كالصوت الذى يسمع عندما توضع الأذن على ظهر إنسان حى وكان يميز بين عدة أصوات مختلفة زقزقة عصافير ضحكات نساء تصفيق أيدى نداءات إنفجار آلة تجرى عليها تجارب أو رنين صحن ذهبى وأصوات مختلطة لأشخاص كثيرين يتكلمون بدون إنقطاع فى كل إتجاه وبلغات مختلفة كل هذا كان يؤدى إلى تغريد رخيم وهادىء كخلية تحت شجرة زيتون فى أحد أيام يونية توقف جن عند السور المرتفع الذى كان يحيط بالقصر وجعل يدور حوله عدة مرات وهو فوق جواد الجهنمى دون أن يكتشف للقصر مدخلا لا شىء يريد أن يتضح ولا واحدة من فتيات الساحر الخمسة المحبوسات فى فروع النجمة المعقدة الخمسة تتوقف لتسمع الجواد الجمهورى فى عدوه العنيف والرنين التقليدى الذى يحدثه أوخير البكرات المتشابكة فوق النول وفجأة وهو مارق السمع إعتقد جن أنه سمع كلمة ثم كلمة أخرى كانت كلمات حقا كلمات لا يوجد مثلها فى أى لغة فمقاطعها تتلاحق مقطعا يلو الآخر ومن جميع أركان بهو الموسيقى أخذت الكلمات تكون شيئا فشيئا جملة إتضح معناها من خلال جرسها المتعدد اللغات وبعد أن فهم جن ابتعد عن القصر قيد خمس فروع حيث تلاشى الغناء فى الأوراق من خلفه عليه الآن أن يركب جواده ويظل فوقه طويلا بصلابة وبلا توقف لمدة أيام وأيام وسط غابة شاسعة لا نهائية بلا نهاية هو الطريق الذى لا ينتهى الطريق الممتد أمامه حتى الأفق يهبط ويرتفع ثلاث أربع مرات كالأوتار فوق كمان صانع الحبال وفى اليوم الثالث شعر جن بالجوع ورأى فى مواجهته شجرة تفاح كبيرة كانت تسد الطريق أمامه وكانت تكل بكل ما تحمله من أثقال هى ثمارها الكثيرة الناضجة لم يذق جن شيئا منها جرد حسامه وضرب بكل قواه الشجرة التى ما لبثت أن إختفت وعلى البعد أحس بالعطش ورأى بالقرب من الطريق منبعا جميلا وباردا له حفرة صغيرة فى الوسط ينبع تحت نباتات حوض من الرمل والحص لكن جن حطمه بضربة قويه من سيفه فاختفى وعلى البعد أيضا كان تقبع شجرة ورد ذات أزهار حمراء يفوح منها عطر زكى ممن يعشقه القلب وكاد جن أن يأخذها بين ذراعيه ولكنه ما لبث أن تراجع وعمد سيفه حتى المقبض فى صدر هذا المخلوق العطرى واختفت الشجرة لكن جن سمع صرخة رائعة وكانت شفرة سيفه عندما سحبه قد غطاها الدم

كان قد حل الخريف وكان خشب الفرو يهز الأوراق الفاسيدة فى الشمس الباردة ورأى جن المياه وهى تبرق خلف هذه الأشجار بعد أن اختفت نجمة الغابة وقد امتدت فى كل مكان أولم يسمع ضباب الصباح برؤية الشاطىء الآخر هذا اذن هو ميعاد الرحيل وهنا ما كان يجب عليه أن يحصل على هذه البيضة الذهبية التى تغطيها بجهة سوداء تحت جناحيها كان الزورق المعد له ينتظره بين الغاب وكانت قدمه قد وطأت عشب هذه الجزيرة التى يملؤها بقايا زلزال عنيف يدوى بصفة مستمرة وفى وسط الجزيرة نافورة لا تفيض أبدا تحصل منها الكأس على القدر المجرد من هذه المياة المتفجرة على الدوام لكن السطح النقى لهذا الإناء الجميل لا يظهر على صفحته غير حركات الأوراق التى تهتز دائما ودائما ما ترتسم عليه وكان يندفع فجأة عمود سائل فى ارتاف جسد المرأة يثب واقفا لحظة تلونه الشمس بالألوان الحيه كأنه ساكن روحى يداخل هذا الجرس الذى تمتد يده لتوزع من حوله السائل الشفاف المترسب فيه ثم يضرب بقوة ذلك التمثال المخلوع فى صدر المادة التى لا تخرج فتفتح فجوة تحت جنبه ويظل كل شىء متوقفا للحظة بطريقة عجيبة وفى النهاية تتحلل جنية الماء إلى سائل بللورى اعتقد جن أن كل شىء قد حار فى هذه المعجزة وظهر أمامه للمره الثانية هذا الجسم الذى ليس له روح ولا مادة غير الحركة التى يطوف فيها عندما فطن قلبه إلى ذلك الشعاع الأصفر المتدفق من خلال برميل من الهواء المتدفق كأن الجسم هو تلك البيضة الذهبية التى أعاقت البجعة خروجها لفترة من عشها الحجرى أى إنسان آخر غير صانع زجاج كان لابد أن يحتار لكن جن لم يجد صعوبة فى هذا الأمر مثا أبوه أمير السماء لما أمسك بفقاعات العالم واحدة تلو الأخرى بغليونة فى حزمة الشمس ألصق جن فى طرف عصاه هذه القطرة العجيبة من معدن الحياة الذائب الأصلى أو المزيج من الروح والجسد وتركها تسقط فى صدر الجنية

وهكذا لم يعد هناك زورقا ولا جزيرة ولا نافورة وأدرك جن أنه لم يكن جودا ذلك الذه كان ينزهه الملك الضرير فى شوارع مدينته المظلمة لكن من جعل الزورق يغوص بأثقاله فى صدر هذه المياة الهرمة غطاه جن بمعطفه ليدارى ذلك العراء المشع الرقيق وشعرت البجعة السوداء بالسرقة فارتمت وهى تطلق صرخة يأس وهلع عميقة لكن جن قتلها بضربة ماهرة من عصاه الحقيقية إستقرت فوق رأسها وطفا الريش الكئيب فوق المياه الخريفية

اتخذ جن طريقه نحو وطنه حاملا معه حاملا معه مخلوقا من نار فوق جواد من ماء كان سعيدا ولم يكن يفكر فى شىء كانت الاميرات الخمس مازلن تنسجن قدر البشر من أعلى قصرهن المنعزل وفى البيت وعند مدخل الغابة لم يكن هناك غير قنديل منطفىء ونظارة من الحديد على المائدة وكتاب مغلق وريشة طويلة تشير إلى المكان الذى كان القارىء قد توقف عنده

براغ ١٩١٠